﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الشّورى: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

إظهارُ عظَمَةِ المَلكوتِ الإلهيِّ في الكَوْنِ

لمّا كان قولُ اللّهِ تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مُفْهِمًا عظيمَ مُلك اللّهِ سبحانه، وجليلَ قدرتِه؛ وذلك من حيثُ كثرةُ ما في الأكوانِ مِنَ الأجسامِ والمَعاني التي هي لجلالتِها وفخامَتِها وعِظَمِها لا تُحْتَمَل؛ قال مبيِّنًا لذلك: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾: (فطر) تدلُّ تصريفاتُها على خروجِ شيءٍ أو نفاذه أوَّلَ أمْرِه، شاقًّا ما فوقَه بضغطٍ أو نحوِه، فهو يباينُ الشَّقَّ بأنَّه أخصُّ منه؛ إذِ التَّفطُّر: تَشَقُّقٌ بقَيْدِ الأوَّليَّة[2]، ولذا يَرِدُ في عباراتِ أهلِ العِلْمِ تفسيرُ التَّفطُّر بالتَّشقُّق؛ لاشْتِراكِهما في أصْلِ المَعْنى، والفَطْرُ: الخَلْقُ والإنشاء، يُقالُ: فطَرَ اللّهُ الخَلْقَ، أي: خَلَقَهُم وأنشأهُم[3] والمرادُ بالتَّفَطُّرِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ التَّشقُّق والتَّصدُّع.

2) ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: (سبح) تدور تصريفاتُها على أصلين؛ أحَدُهُما: ضربٌ من ضُروب العبادَةِ، والآخرُ: نوعٌ مِنَ السَّعْيِ. فمنَ الأوَّل: السُّبْحَةُ؛ وهيَ الصَّلاةُ، وتختصُّ بصلاة النَّفل دونَ الفرضِ، فيُقال:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 243.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فطر).
(3) الجوهريّ، الصحّاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (فطر).

سُبْحَةُ الضُّحى، أي: نافلتُها، ولا يُقال: سُبحةُ الظُّهرِ مُرادًا بها الفرضُ، ومن هذا الأصلِ أيضًا: التَّسْبيحُ؛ وهو تَنْزيهُ اللّه سُبحانَهُ مِنْ كُلِّ سوءٍ، وأصلُ التَّنْزيهِ: التَّبْعيدُ. وقد يُطلق التَّسْبيح مرادًا به معنًى أعمُّ، فيدخلُ فيه جميعُ العباداتِ قولًا كانت أو فعلًا أو نيّةً، قال: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصّافات: 143][1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قُـرْبُ تـفـطُّـرِ الـسَّـمـاواتِ وتسبيحُ المَلائكةِ مـظـهـرٌ مِـن مظاهِرِ عظَمةِ الرَّبِّ ﷻ

يُبَيِّن اللّهُ سُبحانَهُ في هذه الآيَةِ عظَمَةَ شأنِهِ وجلالِ قُدْرَتِه؛ إذْ تكادُ السَّماواتُ تتشقَّق من فوقها - كلٌّ واحدةٍ فوقَ التي تليها - مِن هول عظَمةِ الرَّحمن سُبحانَهُ. كما يذكُرُ سُبْحانَه أنَّ المَلائكة يُسَبِّحون بحمد ربِّهم ويُنَزِّهونه عن كلِّ نقصٍ، ويسألونهُ المَغْفِرَة لأهلِ الإيمان من عبادِه في الأرضِ. ألا إنَّ اللّه تَعالى هو الغفورُ الرَّحيم بعبادِهِ المُؤْمنينَ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ قولِه: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾:

تقريرُ مضمونِ الجُملة المتقدِّمة تقويةً وتوكيدًا

فُصِلَ قول اللّه تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ عمّا قبلهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا نحويًّا تقريرًا لمضمونِ الجملة قبلَهُ، وهي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، فكانت بمنزلةِ التَّوكيد للجملة قبلَها، وذلك ممّا يُبْعِدها عن العطفِ[3].

دلالةُ التَّعبير بالفعل ﴿تَكَادُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

بيانُ عظَمةِ اللهِ تـعـالى وجـليـلِ قُدْرَتِه

اختير الفعلُ ﴿تَكَادُ﴾ من قول اللّه تَعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾؛ للإشارة إلى اقتراب حدوثِ التَّفطُّر، ممّا يُبْرِز عظمةَ اللّه تعالى وقُدْرَتَه مع بقاء السَّماوات ثابتاتٍ بأمره وإذنه. وعُبِّر

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، مفردات: (سبح).
(2) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 483.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 29.

عن الفِعْلِ بِصيغَةِ المُضارع ﴿تَكَادُ﴾؛ للإيماء إلى استمرار خضوع المخلوقات لجلالِ اللّه تعالى الدّائم، وإثارةِ الخُشوع والرَّهبة في نفوس المُتَلَقّين أمامَ هيبَتِه ﷻ، مُصَوِّرًا هذا الحدثَ العظيمَ - وهو قُرْبُ التَّفطُّر - كأنَّه أمرٌ مُتجدِّدُ الحدوثِ، مُسْتَمِرُّ الوقوعِ.

دلالة التَّعريف والجمع في لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾:

بيانُ عظَمةِ الهيبَةِ الإلَهيَّة

جاء لفظُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ معرفًا بـ (أل) ومجموعًا؛ للإشارة إلى السَّماوات التي عرفوها، وقصدًا إلى المبالغة، وإظهارًا لعظَمة الحَدَث؛ وللتَّأكيد على أنَّ التَّأثير لا يقتصر على واحدة منها، بل يشملها جميعًا، كما قال ابن عبّاس ﷺ: "تكاد كلُّ واحدة منها تَتَفَطر فوقَ التي تليها من قول المُشْركينَ: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: 116]"[1]، وهذا التَّعبير يدلُّ على عظَمة الهَيْبَة الإلهيَّة، وهو أنسَبُ للسّياق الذي يَصِف عُلوَّ اللّهِ تَعالى وتنزُّهَه عن جميع ما لا يليقُ بِهِ.

توجيهُ القراءاتِ في ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ و(ينفَطِرن):

التَّكامُل الدّلاليُّ لِلقراءاتِ القُرآنيَّة

في قول اللّه تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ قراءتان؛ فقَد قرأ الجمهورُ ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بياء ثُمَّ تاءٍ، والطّاء فيه مشدَّدة، وقرأ أبو عمرٍو وشعبةُ ويعقوبُ: (يَنْفَطِرْنَ) بياء ثُمَّ نونٍ ساكنةٍ، مع طاءٍ مكسورةٍ مخفَّفة[2]. و﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ على قراءة الجمهور مُطاوِعُ الفعلِ (فَطَّر) الذي هو تكريرُ الشَّقِّ، وهو دالٌّ على التَّكثير، و(يَنْفَطِرْنَ) مُطاوِعُ الفعلِ (فطَرَ) إذا شَقَّ، وهو نظيرُ قَوْلِه: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: 18][3]. وليس المراد من الفعلِ على القراءتين المَذْكورتَيْن قبولَ أثرِ الفاعل؛ لأنَّه لا فاعلَ هُنا للشَّقِّ، وإنَّما المراد الخبرُ بوقوعِ الفعل، فلا

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 4.

(2) ابن مجاهد، السّبعة، ص: 412، والدّاني، التّيسير، ص: 157، وابن الجزريّ، النّشر: 2/ 319.

(3) ابن خالويه، الحُجّة، ص: 239، وابن زنجلة، حجّة القراءات، ص: 640، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 30.

يُنظر هنا لِما يُقْصَدُ غالبًا في مادَّة التَّفعُّل من تكرير الفِعْل، فكانَتِ القراءتان مستويَتَيْنِ في البلاغة[1].

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتُها في ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾:

وفـرَةُ المَعـاني لتعـدُّد معاني الحُروفِ

﴿مِن﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الابتداءِ، وذلك إنْ جُعِل الضَّمير في ﴿فَوْقِهِنَّ﴾ راجعًا إلى السَّماوات، ويكون ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ متعلِّقًا بالفِعْل ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾، والمعنى: أنَّ انْشِقاقَهُنَّ يحصُل من أعلاهُنَّ. ويجوزُ أن تكون ﴿مِن﴾ صلةً يُراد بها التَّوكيدُ، كما هو الشَّأنُ في دخولها على الظّروفِ، والمقصودُ: تأكيدُ الفوقيَّة، وذلك إذا جُعِل الضَّميرُ راجعًا إلى الأرضِ من قولِه تعالى: ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على تأويل الأرض بـ (أرضين)؛ بالنَّظر إلى أجزاء الكرة الأرضيَّة، أو بتأويلِ الأرضِ بِسُكّانها، من باب: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82][2].

بيانُ مرجع الضَّمير في ﴿فَوْقِهِنَّ﴾، ودلالتِه:

تـعـدُّد المعـاني وثـراؤُها بتعـدُّدِ مرجع الضَّمير

الضَّمير في ﴿فَوْقِهِنَّ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ يحتمِلُ في رجوعِه أوجهٌ؛ **أحدُها:** أنه عائدٌ على السَّماوات، والمعنى: يَبْتَدِئُ انفطارُهُنَّ مِنْ جهةِ العُلوِّ، فـ ﴿مِن﴾ لابتداءِ الغايةِ متعلِّقة بما قبلَها؛ إذ إنَّ أعظمَ الآيات وأدلَّها على عظمَةِ الله سُبحانَهُ وجلالَهُ فوقَ السَّماواتِ، ولذا قال سُبحانَهُ: ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾[3].

ثانيها: أنَّ الضَّمير راجعٌ إلى الأرَضين؛ لتقدُّم ذِكْرِ الأرضِ قبلُ في قول الله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾. **ثالثُها:** أنَّ الضَّمير يعودُ على فِرَقِ الكفّارِ والجماعاتِ المُلْحِدين، قالَهُ الأخفش الصّغير، وأنكره مَكّيٌّ؛ وعلَّل ذلك بعدم جواز رجوع الضَّمير المؤنَّث

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 30.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 30.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 209.

على العقلاء مِنَ الذُّكور، وأجابَ السَّمينُ الحلبيّ عن هذا الاعتراضِ؛ بأنَّ مرادَ الأخفش الحَمْلُ على المعنى، وأنّ الضّمير يرجع إلى الفِرَق والجماعاتِ[1]، فأُنِّث الضَّمير بهذا الاعتبارِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ التَّفطُّر حاصلٌ مِن أجلِ أقوالِ تلك الفرقِ والجَماعاتِ[2]. وعلى هذا الوجه؛ كان مقتضى الظّاهر أن يَرِد النَّظم القرآنيُّ: (من تحتهنّ)، أي: من الجهة التي جاءت منها الكلمةُ، ولكنَّ البيانَ القرآنيَّ آثرَ المبالغةَ في ذلك، فجُعِلت مؤثِّرة في جهة الفوق، كأنّه قيل: (تكادُ يتفَطَّرن من الجهة التي فوقَهُنَّ، وتفطُّر ما تحتَهُنَّ أولى وأشدُّ)[3].

معنى الواوِ ودِلالَتُها في ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾:

بيانُ عظَمةِ اللهِ سُبْحانَه وأثَرُ ذلكَ في المَخْلوقاتِ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يجوز أن تكونَ عاطفةً الجملةَ بعدَها على جملةِ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾؛ وذلك لإفادتِها تقريرَ معنى عظَمة اللّهِ وجلالِه، المدلولِ عليهما بقولِه سُبحانَهُ قبلُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[4]. ويجوزُ أن تكون الواوُ للاستئناف[5]، والجملةُ بعدَها مستأنَفةٌ يُراد بها بيانُ أثرِ العظَمةِ الإلَهيَّةِ في الملائكةِ تسبيحًا وتحميدًا.

دلالَةُ تعريفِ لَفْظِ (الملائكة) وجمْعِها:

خُضوعُ الملائكَةِ للهِ سُبْحانَه

جاءَ لفظُ (الملائكة) من قول الله تَعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ معرَّفًا بـ (أل) الجنسيّةِ المفيدة للاستغراقِ. ويجوز أن تكون (أل) للعَهْدِ العِلْميِّ، والمقصودُ بهم: حملةُ العَرْش. والأوَّل أشمَلُ وأعمُّ؛ لاندراج الثّاني تحتَهُ، على أنَّ القول بلام العَهْدِ ضربٌ مِن ضُروب دَعْوى الخصوصِ المفتقِرَة إلى دليلٍ ظاهر. وجيء بِلَفْظِ

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 9/ 540.
(2) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 2683، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 13.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 209.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 31.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 11.

(الملائكَة) مجموعًا؛ للدّلالة على اشتراك الملائكةِ كُلِّهم في تَسْبيح اللّه تَعالى والاستغفارِ لأهلِ الأرضِ.

دلالة التَّعبير بالمُسْنَد فعلًا مُضارِعًا:

تَسبيحُ الملائكَةِ عبادَةٌ دائِمَةٌ

جاء المُسْنَدُ في قول اللّه تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ فعلًا؛ للدّلالة على تقويَة النِّسبة وتأكيدِها، وذلك لتَكَرُّرِها، ووجهُ ذلك: أنَّ التَّسبيح المُسْتَفادَ مِن ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ مسندٌ إلى (الملائكة)، ومُسندٌ إلى الضَّمير (الواو)، فكانت النِّسبة مكرَّرةً ممّا يقتضي توكيدَ حصولِها؛ اهتمامًا بمضمونِ الجملةِ، وإبرازًا لمظهرٍ من مظاهِرِ العظَمة الإلهيَّة في تسبيح الملائكَةِ له. وعُبِّر عَنْ فعلِ التَّسبيح بصيغةِ المُضارِعِ؛ لإفادَةِ التَّجدُّد الاستمراريّ، وذلك يقتَضي أنَّ تسبيحَ الملائكَةِ عبادَةٌ مستمرَّةٌ دائمةٌ.

معنى الباءِ ودلالتُها في ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾:

الجمعُ بين التَّنزيهِ والتَّعظيمِ

الباء في ﴿بِحَمْدِ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مفيدةٌ معنى الملابسةِ والمُصاحَبةِ، أي: يُسبِّحونَ تَسبيحًا مُصاحِبًا الثَّناءَ على اللّه تَعالى بما هو أهلُهُ، فجمَعوا بينَ تنزيهِ اللّه تَعالى عمّا لا يليقُ به، وبين وصفِه بالكَمالاتِ، وحُذِف مفعولُ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ لدِلالة المُتَعلّق بهِ عليهِ، والمَعْنى: يُسبِّحونَ اللّهَ ويَحمَدونَه. وفي هذا تَعريضٌ بالمُشركينَ؛ إذ أعرَضوا عن تَسبيحِ ربِّهم وحمْدِه، وشُغِلوا بتَحميدِ الأصنامِ التي لا نِعمةَ لها عَلَيْهِم، ولا تَنفَعُهم ولا تَضُرُّهم[1].

الغرضُ مِن إضافةِ الحمد إلى الرُّبوبيَّة:

الإشادَةُ بنِعْمَةِ الخَلْق والتَّدبير

أُضيفَ الحمْدُ إلى اسمِ اللّه تعالى (الرّبّ) في قوله سبحانَهُ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ دون الأُلوهيَّةِ؛ للتَّنبيه على تعلُّقِ الحَمْد بنِعْمَةِ الخَلْقِ والتَّدبير والرِّعاية التي هي من مقتضيات

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 33.

الرُّبوبيَّة، فتنزيهُ الملائكةِ لربِّهم سُبحانَهُ ووصفُهُم له بالكمالاتِ ناشئٌ مِن معرفتِهم بعظمَةِ اللّه سُبحانَهُ وجلالِه.

دلالةُ الواوِ في ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾:

بيانُ وظيفةِ الملائكةِ عليهم السلام

الواوُ في ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ من قولِ اللّه تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جُمْلَة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، وبين الجُمْلَتَيْنِ توسُّطٌ بينَ الكمالَيْن؛ لاشْتراكِهما في الخبريَّة، ولِما بينَهُما من التَّناسُب في اللَّفظ والمعنى، فأمّا التَّناسُبُ في اللَّفظ فاتِّحادُ المسندِ إليه فيهما، وهو واوُ الجماعَة العائِدَةُ إلى (الملائكة)، والتَّعبير بالفعلِ المُضارع فيهما. وأمّا التَّناسب المعنويُّ؛ فلِاتِّحادِهما في الكلام عَن وظيفَةِ المَلائكة عليهم السلام. والغرضُ مِن الخبر عن الملائكةِ بالاستغفارِ لأهلِ الأرض بيانُ أنَّهم مِن عالَمِ الخَيْر والهُدى؛ فهم يحرِصون على حصولِ الخير لأهل الأرض، وعلى هدايَتِهم إلى الحقِّ والإيمانِ باللّه سُبحانَهُ[1].

دلالَةُ التَّعبير بالمُضارع في ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾:

دوامُ طلبِ الملائكةِ المغفرةَ لأهْلِ الأرْضِ

عُبِّر عن فعلِ الاستغفارِ بصيغة المضارعِ بـ (يستغفرون) في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ للدّلالة على التَّجدُّد الاستمراريِّ في طلَب الملائكَةِ المَغْفِرةَ والرَّحمةَ لأهلِ الأرض.

معنى اللّام ودِلالَتُها في ﴿لِمَن﴾:

اسْتِغْفارُ المَلائكة خـاصٌّ بـأهـلِ الإيمانِ

اللّام في ﴿لِمَن﴾ مِنْ قولِ اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ دالَّةٌ على الاختصاص، وذلك يُفيدُ أنَّ استغفارَ الملائكة مختصٌّ بأهل الأرض، وهم أهل الإيمان دونَ غيرِهم، كما جاء توضيحُهُ في موضعٍ آخرَ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: 7]. ويجوز أن يكونَ الاستغفارُ عامًّا، ويكونَ لأهْلِ الكُفْر بمعنى تركِ المُعاجَلَة بالعُقوبَة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 34.

الغرض من التَّعبير بالاسم المَوصول (مَنْ):

اخْتِلافُ مَعْنى الاسْتِغْفارِ باخْتِلافِ مُتَعَلَّقِه

(مَنْ) في ﴿لِمَن﴾ من قول اللهِ ﷻ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ اسمٌ موصولٌ بمَعْنى: الذي، وهو مِنَ الألفاظ الدّالَّة على العُموم، فيكون ظاهِرُ الآيةِ مُفيدًا استغفارَ الملائكةِ لجَميع مَن في الأرض، إلّا أنَّه عمومٌ في العقلاء؛ لاختصاصِ (مَنْ) بهم في الأصل. أمّا الاستغفارُ لأهلِ الإيمانِ فمُطْلقًا، وأمّا لأهل الكُفْر فبتأخيرِ مُعاجلَتِهم بالعقوبة[1]. ويجوز أن يكون (مَنْ) شاملًا للعُقلاءِ وغيرِهم، مِن باب تغليبِ العُقلاء لِشَرَفِهم. أمّا العقلاءُ مُؤْمنينَ وكُفّارًا فعَلى النَّحو المُتَقَدِّم. وأمّا غيرُهم مِنَ الحيوانِ؛ فبِتَرْك شُمول العقوبةِ لأهلِ الأرضِ لَهُم.

معنى ﴿فِي﴾ ودِلالَتُها:

إبْرازُ الصِّلة بينَ عُمّار السَّماء وسُكّان الأرض

حرف ﴿فِي﴾ مِن قول الله سُبحانَه: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ دالٌّ على الظَّرفيَّة، وهو هنا يُشير إلى شِدَّة الارتباطِ بالأرضِ ولُصوقِهم بها؛ لكَوْنِهم لا يعيشونَ إلّا فيها. وفي التَّعبير بـ (مَن في الأرض) شمولٌ وعمومٌ لكُلِّ مَن يعيشُ فيها، ولو نُصَّ على أنواعِهم لطالَ الكَلامُ. كما أنَّ التَّعبيرَ عنهم بـ (مَن في الأرض) يُحَسِّن المعنى؛ إذ يكون بينَ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ هاهُنا وبينَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ في صدر الآية: طِباقُ إيجابٍ؛ وذلك ممّا يُبْرِزُ الصِّلة بين عُمّار السَّماء – وهُم الملائكَةُ – وسُكّانِ الأرضِ.

موقع جملة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ممّا قبلها، ودلالتُها:

إبْطالُ وهْمِ المُشْركينَ في انْتِفاعِهم بشُركائِهم شفاعةً وتقريبًا

جملة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مستأنفةٌ لا محلَّ من الإعراب[2]، وهي واقعة تذييلًا للجملة قبلها: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ لقصد دَحْضِ وهْمِ أهل

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 245.
(2) الصّافي، الجدول: 25/ 19.

الشِّركِ أنَّ شركاءهم يشفعونَ لَهُم، ولذا جيء بالجملةِ بأسلوبِ القصرِ، قصرِ قلبٍ[1]. وفي هذه الجملة إيماءٌ إلى أنَّ اللّه سُبحانهُ يقبلُ استغفارَهُم، ويزيدُهُم على ما طلبوه من المغفرةِ رحمَةً[2].

معنى ﴿أَلَآ﴾ ودلالتُها:

تنبيهُ القُلوبِ على سَعَةِ مغفِرَةِ اللهِ تَعالى ورَحْمَتِه

صُدِّرت جملةُ التَّذييلِ في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بحرف الاسْتِفْتاحِ ﴿أَلَآ﴾؛ لإرادة التَّنبيه على ما يَرِد بعدَها، وتوكيدِهِ وتَقْويَته[3]، وفي التَّعبير بِهِ نفيٌ لِلغَفْلَة عن حقيقةٍ جليلةٍ، وهي اختصاصُ اللّهِ سُبحانَهُ بالمغفرةِ والرَّحمة. كما أنَّ فيه تنبيهًا لِلمُتَلقّين على هذا الأمر؛ ليكونَ استقبالُهم له استقبالَ المُصَدِّق الموقِنِ. ويؤيِّدُ هذا المعنى الإتيانُ بـ ﴿إِنَّ﴾ المؤكِّدَة.

الغرضُ من التَّعبير بالجُملة الاسميَّة:

عُبِّر بالجُملة الاسميَّة: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ للدّلالَة على الثُّبوت والدَّوام، وأنَّ اللّه سُبْحانَه مُتَّصف بصِفَتَي المغفِرَة والرَّحمة على وجْهِ الدَّوام والاسْتِمْرارِ.

دِلالَةُ تَظافُرِ المؤكِّداتِ:

تهيئَةُ السّامعِ وتنبيهُهُ لتَلَقّي عَظائِمِ الأمورِ

أُكِّد قولُ اللّه سُبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بجملةٍ من المُؤكِّداتِ؛ وهي حرفُ الاستفتاح ﴿أَلَآ﴾، وحرف التَّوكيد ﴿إِنَّ﴾، وتعريفُ جُزأي الجملةِ، وضميرُ الفصلِ، واسميّةُ الجملةِ. وهذا الحَشْدُ للمؤكِّداتِ دليلُ أهميَّة القَوْلِ، وفيه إبرازٌ لجَلالة المَعْنى. فبدأت الجملَةُ بحَرْفِ الاستفتاحِ لتَهْيِئَة السّامع بتَنْبيه عقلِه وقَلْبِه، ثُمَّ قوّيَ الخبرُ بـ ﴿إِنَّ﴾، ثُمَّ جيء بجُزْأي الجملة معرَّفين لإفادَة القصرِ، وقوّيَ هذا القَصْرُ بضمير الفصلِ، وصيغ ذلك كلُّه بجملةٍ اسميَّة تُفيد الدَّوام والاستمرارَ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 34.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 22.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 34.

دلالة التَّعبير بالاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهَ﴾:

الاسم الأحسنُ (الـلـه) جامع لصِفاتِ الكَمال والـجَـلال والجمالِ

جاء الاسمُ الأحسنُ ﴿ٱللَّهَ﴾ مسندًا إليه في قَول اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لتعظيم الأمر وبيان جلالتِه؛ إذ إنَّ اسمه تعالى ﴿ٱللَّهَ﴾ فيه من الجلال والجمال والكمال ما لا منتهى له. وفي التَّعبيرِ به حملٌ على لزوم الحمد وإدامة الشُّكر للهِ سُبحانَهُ، الذي له الإحاطة بصفات الكمالِ، فلهُ جميعُ العظمة[1]. والتّعبير بالاسم الأحسنِ ﴿ٱللَّهَ﴾ ملائمٌ معَ ما في الآية مِنَ القَصرِ؛ إذ إنَّه لا يقدِر على المغفرَةِ والرَّحمة إلّا الذي اتَّصف بكمال العظَمَةِ، وصفات الكمالِ.

دلالةُ خَتْمِ الآيَةِ بالاسْمَيْن الكريمَين واقترانِهما:

رَحْـمَـةُ الـلـهِ سُبْحانَه سبقَتْ غضبَهُ

خُتمت الآية الكريمة بذِكْر الاسْمَيْنِ الجَليلَيْن ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ وذلك أنَّهُم استوجبوا بادِّعائهم - أن اللّهَ تعالى اتَّخذ ولدًا - صَبَّ العذابِ عليهم، إلّا أنَّ اللّهَ سُبحانَهُ صرفَهُ عنهم؛ لأنَّ رحمتَهُ سُبحانَهُ سبقَتْ غضبَهُ، والآيةُ واردة لإرادةِ التَّنزيه بعد إثبات مُلكِ اللّه تَعالى وعَظَمَته[2]. والخَتْمُ بهذَيْن الاسمين الجَليلَيْن مناسِبٌ لمَطْلَع الآية ومضمونِها، فالغَفورُ: كَثيرُ السَّتْرِ على المُذْنبين، والرَّحيم: واسعُ إيصالِ الرَّحمةِ إلى عِبادِه[3]. والاقْترانُ بينَ المَغْفِرةِ والرَّحمة فيه إشارةٌ إلى أنَّ اللّه تعالَى يقبلُ مِنَ الملائكة استغفارَهُم، ثُمَّ يُفيض على العبادِ بالزّيادة عَلى مَطْلوبِهم مِنْ رَحْمَتِه الواسِعَة[4].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

التّفطُّر والتَّشقّق:

الفعلُ (يتفطَّر) أصلُهُ دالٌّ عَلَى فَتْحِ شَيْءٍ وإبرازِه[5]. وأمّا الشَّقُّ؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 246.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 13.
(3) وقد ورد في القرآن الكريم الاقترانُ بين الاسمين الجليلين في: (73) موضعًا.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 22.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فطر).

فأصلُهُ: الصَّدع البائِنُ، وقيل: غير البائن، وقيل: هو الصّدعُ مطلقًا، وهذا شقيقُ هَذا؛ إذا انْشَقَّ نصفينِ.

فالفطر: هو الشِّقُّ الذي يكون بالطّول، والشَّقُّ يكون على أيِّ جِهَةٍ. كما أنَّ الانفطارَ هو شقوقٌ غيرُ منتظمة، بينَما الشُّقوق تدلُّ على أمورٍ منتظمَة، فبينَ الفطر والشَّقّ عموم وخصوصٌ.

فالانْفِطارُ في السَّماء الذي هو مِن علامات السّاعة، يحدثُ أوَّلًا ثُمَّ يعقبُه الانْشِقاقُ، ويُستأنَسُ لهذا المَعْنى بِأنَّ سورة الانْفِطار جاءت متقدِّمةً في ترتيبِ المُصحف قبلَ سورَةِ الانْشِقاق[1].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (فطر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"